## ﴿سورة العاديات﴾

**وفيها ثلاث مسائل :**

**المسألة الأولى: بم أقسم الله تعالى ؟ وعلام أقسم ؟**

**والجواب:** أن الله ﷻ أقسم بالعاديات التى تضبح، والموريات التى تقدح، والمغيرات وقت الصباح التى تثرن النقع وتتوسطن به الجمع، أقسم بذلك كله على أن الإنسان لربه لكنود ... فما معنى المقسَم به والمقسَم عليه ؟

اختلفت أقوال أهل التفسير فى المراد من المقسم به وهو العاديات، ومن ثمَّ فى معانى الصفات التابعة لها على أقوال، من أشهرها :

إن العاديات هى الخيل التى تعدو أى تجرى بسرعة، والعاديات جمع عادية، وهى اسم فاعل من العدو وهو السير السريع، والعاديات هى: الخيول التى تسرع فى الجرى فتضبح، والضبح هو ترددأنفاسها فى صدورها عند اشتداد جريها .

(وعن عطاء: سمعت ابن عباس يصف الضبح "أح أح") [1]،قال صاحب اللسان: (والضَّبْح في الخيل أَظهر عند أَهل العلم، قال ابن عباسﷺ ما ضَبَحَتْ دابة قط إِلا كَلْبٌ أَو فرس) [2] وعلى هذا فقد أقسم الله ﷻ بخيول المجاهدين التى تشتد وتعدو للإغارة على أعداء الله، فيخرج منها صوت الضبح لتسارع أنفاسها من فرط جهدها .

أما الرأى الثانى: فيرى أن العاديات التى أقسم الله ﷻ بها فى السورة هى الإبل، وبوجه خاص هى الإبل التى تحمل الحجيج يوم الحج لأداء مناسكهم، فقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس ﷺ (قال: بينما أنا في الحجر جالس، أتاني رجل يسأل عن: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (١)**﴾ فقلت له: الخيل حين تغير في سبيل الله، ثم تأوي إلى الليل، فيصنعون طعامهم، ويورون نارهم. فانفتل عني، فذهب إلى علي بن أبي طالب ﷺ وهو تحت

---

(١) مفاتيح الغيب ٤٣٩/٣٠ .
(٢) لسان العرب ٥٢٢/٢ .

سقاية زمزم، فسأله عن: ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (١)**﴾ فقال: سألتَ عنها أحدًا قبلي؟ قال: نعم، سألت عنها ابن عباس، فقال: الخيل حين تغير في سبيل الله، قال: اذهب فادعه لي؛ فلما وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به، والله لكانت أول غزوة في الإسلام لبدر، وما كان معنا إلا فرسان: فرس للزبير، وفرس للمقداد، فكيف تكون العاديات ضبحا! إنما العاديات ضبحاً من عرفة إلى مزدلفة إلى منى؛ قال ابن عباس: فنزعت عن قولي، ورجعت إلى الذي قال علي ﷺ) [١]، وعلى هذا فإن الضبح لا يمكن حمله على صوت تردد الأنفاس فى صدورها، لأن الضبح لا يصلح أن يكون فى الإبل بل هو فى الخيل فقط، وعلى هذا فقد قال بعض أهل اللغة: (من جعلها للإبل جعل ضَبْحاً بمعنى ضَبْعاً يقال ضَبَحَت الناقة في سيرها وضَبَعَتْ إذا مَدَّتْ ضَبْعَيها في السير) [٢].

والراجح أن المراد هو خيول المجاهدين بدليل ما بعدها من الضبح، قال العلامة السعدى: (أقسم الله تبارك وتعالى بالخيل، لما فيها من آيات الله الباهرة، ونعمه الظاهرةما هو معلوم للخلق، وأقسم تعالىبها في الحال التي لا يشاركها فيه غيرها من أنواع الحيوانات) [٣]، ثم قوله ﷻ: ﴿**فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً (٢)**﴾ والإيراء هو إشعال النار، فوصف الله ﷻ هذه الخيل فى شدة عدوها واصطكاك حوافرها بالحجارة فتتقدح منها الشرر، قال الزجاج: (إذا عدت الخيل بالليل أصاب حوافرها الحجارة فانقدح منها النيران) [٤]، وهذا يؤكد أن المقصود بالعاديات هى الخيل وليس الإبل إذ ليس للإبل حوافر تقدح بها الشرر، بل لها أخفاف – جمع خُف – وهى لا تُحدث هذا الأثر فى الحجارة عند وقوعها عليها .

﴿**فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً (٣)**﴾ هى الخيل التى يشن بها أصحابها الغارة على أعداء الله ورسوله وقت الصباح، ﴿**فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (٤)**﴾ أى أثرن

(١) جامع البيان فى تأويل القرآن، ٥٥٩/٢٤ .
(٢) لسان العرب ٥٢٢/٢ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٩٣٢
(٤) فتح القدير ٥ /٦٨٥

وهيجن بعدوهن وغارتهن النقع – وهو التراب – فعلا وارتفع، ﴿**فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً (٥)**﴾ أى توسطت تلك الخيول بركابها جموع الأعداء وخيامهم عند الإغارة عليهم .

كل هذا هو المقَسم الذى أقسم الله ﷻ به ، فعلام أقسم الله ﷻ ؟

أقسم ﷻ على أن ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)**﴾.

**المسألة الثانية: ما المراد بالكنود فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)﴾؟**

**والجواب:** تعددت أقوال المفسرين فى معنى الكنود على أقوال تدور حول الجحود لنعم الله عليه والمنكر لفضله ونعمائه (وعن الحسن أيضاً : هو اللائم لربه، يعد السيئات وينسى الحسنات ، وقال الفضيل : هو الذي تنسيه سيئة واحدة حسنات كثيرة ) [١]، قال القرطبى – رحمه الله – :(قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦)**﴾ هذا جواب القسم، أي طُبِع الإنسان على كفران النعمة، قال ابن عباس: ﴿ **لَكَنُودٌ**﴾ لكفور جحود لنعم الله) [٢] .

وقيل إن كلمة ﴿**لَكَنُودٌ**﴾ ليست بلسان قريش، قال الفخر الرازى: (الكنود بلسان كندة: العاصي، وبلسان بني مالك: البخيل، وبلسان مضر وربيعة: الكفور) [٣] .

أما قوله ﷻ: ﴿**وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧)**﴾ ففيها قولان :

الأول: إنه أى الإنسان يشهد على نفسه بأنه كنود .

الثانى: إنه أى الله ﷻ شهيد على جحود الإنسان، ففيه الوعيد، والتهديد الشديد، لمن هو لربه كنود، بأن الله عليه شهيد.

**المسألة الثالثة: ما المقصود بالخير فى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)﴾ ؟**

---

(١) البحر المحيط ٥٠١/٨ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن ١٦٠/٢٠ .
(٣) مفاتيح الغيب ٦٤/٣٢ .

**والجواب :** المقصود بالخير هنا المال كما أجمع المفسرون ، فالإنسان يحب المال حباً شديداً ، وقد سمى الله ﷻ المال خيراً ، قال الله ﷻ: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)**﴾[١]، وقد سُمى ﴿**خَيْراً**﴾ لأنه لا غنى عنه لصلاح دنيا الناس، بل وصلاح أخراهم إذا أُحسِن أخذه ثم وضعه فى مواضع الإنفاق المأمور بها فيكون المال عندئذ خيراً للفرد والمجتمع، ولذا قال رسولنا ﷺ: (نِعم المال الصالح مع العبد الصالح) [٢]، وفى هذا رد على من يتهمون الإسلام بدعوته الناس إلى الفقر وترك الدنيا ، بل الأصل التوسط والاعتدال فيها وأن تكون الدنيا فى يد المسلم لا فى قلبه، ينفق من مال الله ﷻ الذى اكتسبه من حِله على نفسه وأهله، ومواطن الإنفاق من صدقة وزكاة وصلة للأرحام وتفريج للكربات وفك للعانى وإطعام للبائس الفقير.

**وفى السورة لطيفة تحسن الإشارة إليها :**

فالناظر فى هذه السورة المباركة يجدها قد رسمت لنا صورة متكاملة الأركان حول مشهد الإغارة على الأعداء وهو مشهد متراكب الأجزاء، متعدد اللقطات، يحمل بين ثناياه الحركات المتفاعلة والأصوات المتناغمة والألوان المتداخلة، فهاهى الحركة يشعر بها القارئ فى عدو الخيل وإغارتها وتوسطها خيام الأعداء وإثارتها للفوضى فى المكان، ثم كأن القارئ للسورة يستمع بأذنيه إلى الأصوات الصادرة من ضبح الخيل واصطكاك حوافرها بالصخر عند العدو، ليشاهد بعينيه الألوان المتداخلة كاحمرار الشر المتطاير من قدح الخيل للصخر بحوافرها ثم السواد والغبار الذى يلف مكان الغارة جراء النقع الذى يعلو فوق رؤوس الفرسان مع انبلاج أول خيط لضوء النهار .

---

(١) سورة البقرة / ١٨٠.

(٢) الحديث أخرجه البخارى فى الأدب المفرد، باب المال الصالح للمرء الصالح ، ص١١٢، ورقمه ٢٩٩ .

فسبحان مَن أبدع لنا هذه الصورة المتكاملة فى تفاصيلها، المنسجمة فى جزئياتها، المبدعة فى رسم كل هذه التفاصيل من حركات وأصوات وألوان للخيول العادية المجاهدة بعنفوانها وقوتها ورشاقتها وخفة حركتها .

ثم ينبغى لنا فى هذا السياق أن نطرح سؤالاً إجابته لنا واضحة مكشوفة إذا كان الله ﷻ قد أقسم بخيول المجاهدين لمكانتها ورفعة شأنها فما بالك بشأن راكبيها ، ومكانة المجاهدين أنفسهم عند الله ﷻ؟

لا شك أن هذه السورة هى أعلى وسام يحصل المجاهد فى سبيل الله عليه من سيده ومولاه الذى امتدح فرس المجاهد وأقسم بالعاديات إشارة إلى شرف الجهاد ومكانة المجاهدين فى سبيل الله ﷻ .

---